Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies
Homepage: http://meijournals.com/ar/index.php/mejljs/index
ISSN: 2710-2238 (PRINT)
ISSN: 2788-4686 (ONLINE)
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم الإنسانية والثقافية
MESR
منار الشرق للدراسات والأبحاث

صيانة الجص في المباني الإسلامية الأثرية في العراق: دراسة تحليلية لنماذج مختارة

أ.د. عبد العزيزحميد صالح، م.د. فوزية مهدي المالكي

قسم الاثار– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة المستقبل – الحلة – بابل – 51001 – العراق

استلام البحث:07-01-2026 مراجعة البحث :18-01-2026 قبول البحث:09-02-2026

الملخص

يتناول بحثنا موضوع صيانة الجص في المباني الإسلامية الأثرية في العراق، مستندا إلى خبرة ميدانية طويلة في أعمال الصيانة والتنقيب والمسح الأثري والعمل المتحفي ضمن الهيئة العامة للآثار والتراث. ويهدف البحث إلى توثيق هذه الخبرة وإتاحتها للمتخصصين والباحثين في مجال العمارة الأثرية وصيانة المباني التاريخية.

يعرض البحث مفهوم الجص بوصفه مادة بنائية رئيسة استعملت على نطاق واسع في الأبنية العراقية عبر العصور القديمة والإسلامية، ويبين أسباب استعماله في كسوة الجدران المبنية باللبن أو الآجر. كما يتناول البحث طريقة تصنيع الجص، والعوامل الطبيعية والإنشائية التي تؤدي إلى تلفه وتغير خصائصه، وما يترتب على ذلك من ضعف في تماسك الجدران واحتمال انهيارها.

واعتمد البحث على تحليل عدد من النماذج المعمارية الأثرية في العراق، مع مناقشة أساليب صيانة الجص فيها، وصولا إلى التأكيد على أهمية الصيانة الدورية بوصفها وسيلة أساسية للحفاظ على الأبنية الأثرية وإطالة عمرها الزمني.

الكلمات المفتاحية: صيانة الجص، العمارة الإسلامية، المباني الأثرية في العراق، مواد البناء التقليدية، حفظ التراث المعماري

Abstract:

This research addresses the conservation of gypsum plaster in Islamic historical buildings in Iraq, drawing upon long-term field experience in conservation work, archaeological excavation, site surveys, and museum practice within the State Board of Antiquities and Heritage. The research aims to document this accumulated expertise and make it accessible to specialists and researchers in the fields of architectural heritage and historic building conservation.

The research examines gypsum as a principal construction material widely used in Iraqi architecture throughout ancient and Islamic periods, and discusses the reasons for its use in coating walls built of mudbrick or baked brick. It also explores traditional gypsum production methods, as well as the environmental and structural factors that lead to its deterioration and the alteration of its properties, which may in turn weaken wall cohesion and contribute to structural instability.

The research is based on the analysis of selected architectural case studies in Iraq, accompanied by a discussion of conservation approaches applied to gypsum surfaces. It concludes by emphasizing the importance of periodic maintenance as a fundamental strategy for preserving historic buildings and extending their lifespan.

Keywords : gypsum conservation, Islamic architecture, historic buildings in Iraq, traditional building materials, architectural heritage preservation

---

المقدمة:

تعد مادة الجص من المواد الاساسية التي ارتبطت بالعمارة في العراق منذ العصور القديمة ثم استمر استعمالها في العمارة الاسلامية بوصفها مادة بنائية وزخرفية في الوقت نفسه. فقد استعمل الجص في اكساء الجدران وحمايتها من العوامل

المناخية، كما وفر سطحا ملائما لتنفيذ الزخارف والكتابات التي شكلت جانبا مهما من المظهر الجمالي للمباني الدينية والتاريخية. ولهذا حضر الجص في المساجد والمشاهد والاضرحة والمدارس وغيرها من المباني التي تمثل التراث المعماري الاسلامي في العراق.

غير ان هذه الطبقات لم تبق ثابتة مع مرور الزمن، اذ تعرضت لعوامل متعددة اسهمت في تدهورها تدريجيا. فالرطوبة والاملاح وتفاوت درجات الحرارة والرياح والامطار كلها عوامل تؤثر في الجص وتؤدي الى تشققه او انفصاله عن الجدار او تساقطه، وقد يصل الضرر احيانا الى جسم البناء نفسه. وتظهر هذه المشكلات بوضوح في كثير من المباني الاسلامية الاثرية التي بقيت شاخصة حتى اليوم، مما يجعل صيانة الجص جزءا اساسيا من عملية الحفاظ على تلك المباني.

ورغم ان اعمال الصيانة قد نفذت في مواقع متعددة خلال فترات مختلفة، فان توثيق هذه الخبرات وتحليلها في اطار علمي ما يزال محدودا. فكثير من الدراسات ركزت على الجوانب التاريخية او الفنية للعمارة، في حين لم تحظ مسألة صيانة الجص بالتحليل الكافي الذي يربط بين اسباب التلف وطرائق المعالجة ونتائجها. ومن هنا تحاول هذه الدراسة تقديم قراءة تحليلية لواقع صيانة الجص في عدد من المباني الاسلامية الاثرية في العراق من خلال نماذج مختارة تمثل بيئات معمارية وزمنية مختلفة.

وتهدف الدراسة الى تسليط الضوء على اهم مظاهر تلف الجص في تلك المباني والعوامل التي تسهم في حدوثه، مع مناقشة بعض اساليب الصيانة التي اتبعت في التعامل معه، وذلك بهدف ابراز اهمية الصيانة الدورية بوصفها وسيلة رئيسة في الحفاظ على المباني الاثرية واطالة عمرها.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في ان طبقات الجص في كثير من المباني الاسلامية الاثرية في العراق تتعرض الى التدهور بمرور الزمن نتيجة عوامل بيئية وانشائية متعددة، الامر الذي يؤدي الى تشققها او انفصالها عن الجدران او تساقطها، وقد يتسبب ذلك في اضعاف البناء نفسه. وعلى الرغم من تنفيذ اعمال صيانة متفرقة في عدد من المواقع الاثرية، فان هذه الاعمال لم توثق دائما ضمن رؤية تحليلية شاملة تربط بين اسباب التلف وطرائق المعالجة ونتائجها الفعلية.

كما ان الدراسات التي تناولت العمارة الاسلامية ركزت في الغالب على الجوانب التاريخية او الفنية، في حين لم تحظ مسألة صيانة الجص بما يكفي من التحليل الذي يوضح طبيعة المشكلة وحدودها واساليب التعامل معها. ومن هنا تنطلق هذه الدراسة في محاولة لفهم واقع صيانة الجص في المباني الاسلامية الاثرية في العراق من خلال تحليل نماذج مختارة، بهدف الوصول الى تصور اوضح عن اسباب التلف وسبل الحد منه.

اهداف البحث

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على واقع صيانة الجص في المباني الاسلامية الاثرية في العراق من خلال تحليل عدد من النماذج المختارة التي تعرضت للتلف او خضعت لاعمال صيانة. كما تسعى الى تحديد أبرز العوامل التي تؤدي الى تدهور طبقات الجص في تلك المباني، سواء كانت عوامل بيئية ام انشائية ام ناتجة عن تدخلات سابقة.

وتهدف الدراسة كذلك الى مناقشة بعض الاساليب التي اتبعت في معالجة هذه المشكلات، ومحاولة ابراز مدى فاعليتها في الحفاظ على المباني الاثرية. ومن خلال ذلك تحاول الدراسة التأكيد على اهمية الصيانة الدورية ودورها في حماية المباني الاسلامية الاثرية واطالة عمرها.

أهمية البحث

تنبع اهمية هذه الدراسة من ارتباطها بحفظ التراث المعماري الاسلامي في العراق، اذ تمثل طبقات الجص جزءا اساسيا من بنية المباني الاثرية ومن مظهرها الجمالي في الوقت نفسه. ويؤدي تدهور هذه الطبقات الى فقدان جزء من القيمة المعمارية والتاريخية للمبنى، كما قد يهدد استقراره الانشائي مع مرور الزمن.

كما تسهم الدراسة في توثيق بعض الخبرات المتعلقة بصيانة الجص وتحليلها ضمن اطار علمي مبسط، الامر الذي قد يفيد الباحثين والمتخصصين في مجال الاثار والصيانة ويساعد في توجيه اعمال الحفاظ على المباني التاريخية مستقبلا. ومن هنا تأتي اهمية البحث بوصفه محاولة لربط الجانب النظري بالخبرة العملية في التعامل مع مادة الجص في العمارة الاسلامية.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث المنهج التحليلي في تناول موضوع صيانة الجص في المباني الاسلامية الاثرية في العراق، وذلك من خلال تحليل عدد من النماذج المعمارية التي ورد ذكرها في المصادر الاثرية واعمال الصيانة السابقة. ويركز البحث على تتبع مظاهر تلف الجص في تلك المباني ومحاولة تفسيرها في ضوء العوامل البيئية والانشائية المختلفة.

كما يستند البحث الى مراجعة ما توفر من معلومات ووصف للإجراءات التي اتبعت في صيانة بعض هذه المباني، بهدف فهم طبيعة التدخلات الصيانية ونتائجها العامة. ويأتي اعتماد هذا المنهج لكونه الانسب في دراسة موضوع يرتبط بمبان تاريخية قائمة وخبرات تراكمت عبر الزمن أكثر من ارتباطه بقياسات ميدانية مباشرة.

الفصل الاول

الجص في العمارة الإسلامية: الخصائص والاستعمالات والعوامل المؤثرة فيه

1-1 الجص من حيث التسمية والتركيب وطريقة التحضير

الجص كلمة معرّبة تقابلها في العربية الفصحى (القصّة)، ويقال انها لغة حجازية (ف قصّص الدار اي جصّها) (١). وقد وردت لفظة القصّة بهذا المعنى في الحديث الشريف (2)، كما وردت ايضا عند التطرق الى تجديدات مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في ايام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم (٣).

ومهما يكن من امر لفظتي القصّة او الجص فان العنصر الاساس الداخل في تركيبته هو ما يعرف بـ (كبريتات الكالسيوم المائية) المتوفرة بكثرة في وسط وشمال العراق في شكل طبقات او كتل حجرية تحت الطبقة الترابية العليا لسطح الارض. يحضّر الجص عادة عند تعريض تلك الصخور الى نار معتدلة الحرارة في افران بدائية، فعندما تصل الحرارة الى حدود 350 درجة فهرنهايتية (213,5 مئوية) يفقد هذا المركب معظم الماء الموجود في تركيبه البلوري (4).

وعند سحقه جيدا يكتسب خاصيته المميزة في البناء وهي انه اذا ابتل او عجن بالماء يتحول الى مادة طيّعة مطاطية، ولكن سرعان ما تتحول تلك العجينة الى مادة صلبة شبه حجرية اذا ما تركت لبضع دقائق. ولذلك غالبا ما يضيف البناؤون والمزخرفون مادة اخرى الى الجص تعمل على ابطاء سرعة التصلب كالمواد الغرينية او الجير (5).

ولا يعزى السبب في ذلك الى عملية التبخر الاعتيادية للماء من الجص كما هو الحال مع الصلصال الطري، ولكن بسبب سلسلة متتابعة من التفاعلات الكيمياوية السريعة بين المادة الكلسية والماء التي تؤدي بالتالي الى الجفاف السريع.

1-2 اكتشاف الجص وبدايات استعماله في البناء

ولا شك ان اكتشاف الجص لم تكن ابدا من الامور السهلة اليسيرة على الانسان، اذ ان التوصل الى معرفة خاصية الجص المميزة وتحضيره لم تكونا، كما يرى العلماء، اقل صعوبة من التوصل الى اكتشاف طريقة ايقاد النار او فكرة صنع الانية الفخارية وشيّها.

ومهما يكن من امر التوصل الى هذا الاكتشاف المهم فلابد من ان يكون قد تمّ في اوائل الالف الاول قبل الميلاد في الاقل حيث استعين به كملاط لتثبيت مداميك الحجر او الآجر او اللبن. ويبدو ان الاستعانة بالجص في البناء قد شاعت في النصف الثاني منه وتزايد الاقبال عليه عبر القرون اللاحقة.

1-3 استعمال الجص في بلاد الرافدين ووظائفه المعمارية والجمالية

وقد عمد البناؤون في بلاد الرافدين منذ العصر الآشوري الحديث ثم في العصر البابلي الاخير الى تسييع الجدران بالجص، ثم زاد الاقبال عليه فصار اكساء الجدر به من جهتيها الداخلية والخارجية عندما تبين ان هذه المادة البنائية لا تتأثر على

نحو مباشر بالعوامل الطبيعية كالامطار والرياح وغيرها ولابد هنا ان يكون نقيا وخاليا من الشوائب (٦)، او على الاقل ان تأثير العوامل الجوية عليها أضعف بكثير من تأثيرها على جدران اللبن الخالية من الكساء الجصي.

وبذلك أدرك المعمار العراقي القديم ان الكساء الجصي يساعد على نحو كبير في الحفاظ على الجدران ولاسيما المشيدة منها باللبن حيث ان الطين يتأثر على نحو واضح بالعوامل الجوية المختلفة ولاسيما الامطار والرياح القوية وتفاوت الحرارة الذي يؤدي الى تصدّعها.

هذا من جهة ومن جهة اخرى ان التجصيص يضفي على الجدران مسحة جمالية خاصة بسبب بياض لونه ونعومته ولمعانه. ومما زاد في اقبال البنائين عليه انه سهل التحضير ورخيص الثمن ولاسيما في اقليم مثل بلاد الرافدين حيث تكثر احجار الكلس المادة الاولية الرئيسة الداخلة في صناعته.

ولم يكتف سكان بلاد الرافدين القدماء بملج الجدران بالجص بل استغلت مسطحات الجدران الواسعة الملساء بالزخرفة سواء كان ذلك عن طريق الاصباغ او عن طريق الزخارف الناتئة والغائرة. ويعد قصر الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني في مدينة نمرود الذي يرتقي الى القرن التاسع قبل الميلاد من اقدم النماذج في العمارة العراقية القديمة التي كسيت جدرانه بالجص وزينت ببعض ضروب الزخرفة (٧).

1-4 انتقال استعمال الجص الى الحضارات اللاحقة وشبه الجزيرة العربية

وإذا انتقلنا الى العهود التي اعقبت العصرين الآشوري ثم البابلي الحديث نجد ان الاستعانة بالجص في البناء وكذلك في تسييع الجدران ثم زخرفتها بالرسم والحفر والتجسيم قد انتقلت الى الحضارات اللاحقة الاخرى وهم الاخمينيين ثم السلوقيين ومن بعدهم البارثيين والساسانيين الذين اقبلوا اقبالا عظيما على الزخارف الجصية بعد اكساء الجدران ولاسيما الواجهات الداخلية بالجص النقي الخالي من الشوائب (٨).

اما في شبه الجزيرة العربية فقد عرفت العرب الاستعانة بهذه المادة البنائية بما في ذلك اكساء الجدران بها منذ القرن الثالث الميلادي على الاقل حيث كشفت التنقيبات الاثرية التي قامت بها جامعة الملك سعود في الرياض في موقع عاصمة دولة كندا المعروف اليوم بـ (قرية الفاو) الذي يقع في قلب شبه جزيرة العرب (9). لقد اماطت تلك الحفائر اللثام عن الكثير من المعلومات المهمة وسلطت الاضواء على جوانب في غاية الاهمية من تراث الامة العربية، غير ان الذي يهمنا هنا هو بقايا البناء الذي يعرف بالقصر الذي كان يتوسط المدينة حيث وجد ان بعض قاعاته الداخلية مكسية بالجص الناعم الاملس المزينة ببعض الرسوم الجدارية بالالوان المائية (10).

1-5 الجص في العصر الراشدي واستمرار استعماله في العهود الاسلامية

وفي العصر الراشدي ذكر قدامى المؤرخين ان عثمان بن عفان رضي الله عنه كان قد استعان بالجص والحجارة المنقوشة وخشب الساج عند اعادة بناء مسجد الرسول في المدينة المنورة، وذكر ايضا ان الصحابي طلحة بن خويلد (ت35هـ) شيد

داره في المدينة المنورة بالآجر والجص، وان الصحابي المقداد بن الاسود (ت33هـ) بنى داره بالمدينة المنورة ايضا وجعلها مجصّصة الظاهر والباطن (١١)، اي انه كسى جدرانها بالملاط من الجهتين الخارجية والداخلية (12).

ثم استمر الامر على النمط نفسه تقريبا عبر العهود الاسلامية المتلاحقة ولاسيما في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين. وهكذا يمكن القول ان القدماء قد ادركوا ان لتسييج الجدران بالجص فائدتين اساسيتين: الاولى عمارية تقنية وهي حماية الجدران من التآكل ولاسيما اذا كانت مشيدة باللبن. اما الفائدة الثانية فجمالية فنية والتي تحققت هنا عن طريق استغلال السطوح الملساء والبيضاء في الرسم والزخرفة عن طريق الحفر الغائر والناتئ.

1-6 تلف الكساء الجصي والعوامل المؤثرة فيه

غير ان الكساء الجصي مع الاسف لا يمكن ان يستمر في حالته السليمة لامد طويل، فلابد من ان تؤثر فيه الرياح والامطار ولو بعد حين فيقع الخلل فيه وفي البناء عموما. وقد تختلف المدة الزمنية الكفيلة باحداث الاضرار وذلك حسب جودة الجص نفسه ومقدار نقاوته وخلوه من الشوائب والاتربة بما في ذلك المواد الطينية والحصى وفتات الاحجار.

ثم ان جودة البناء ومتانته وموقعه فضلا عن طبيعة المناخ في المنطقة المشيدة فيها تلعب دورا كبيرا في الحفاظ على الكساء الجصي. فالمناخ القاري الشديد المتفاوت في الحرارة بين الليل والنهار او بين الصيف والشتاء، ثم اختلاف نسبة الرطوبة في الجو من فصل آخر كل ذلك يؤدي الى الاسراع في تصدع الجص. والواقع ان التغيير المستمر في درجة الحرارة والرطوبة من جهة واختلاف نسبة التمدد بين الجص والآجر واللبن من جهة اخرى.

وبمرور الزمن تحدث تشققات مجهرية في الكساء الجصي في بادئ الامر ثم تتوسع تدريجيا لتصبح ظاهرة بينة. ومن البديهي ان مثل هذه التشققات تسمح بادخال كميات من مياه الامطار لتستقر بين طبقة الجص والجدار الاصلي سواء كان من الآجر او اللبن مما قد يتسبب في انتفاخات وعزل بين الكساء الجصي والجدار. ولما كان الكساء الجصي في حالة تشقق وتصدع فان العزل سوف يؤدي في نهاية الامر الى تساقط اجزاء منه.

وقد تحدث العملية ضررا بليغا بالجدران نفسها التي ربما تتصدع هي الاخرى او تتشقق بسبب تفاعل المياه المحصورة مع الاملاح او المواد الكلسية التي يحتويها اللبن او الآجر. ثم علينا الا ننسى العوامل الاخرى التي تساعد في الاسراع في عملية احداث الضرر كالرطوبة الجوية على نحو عام او الرطوبة الهابطة من السطح واعالي الجدران او الصاعدة من الارض، اي من عند اسس البناء.

الفصل الثاني

دراسات حالة لصيانة الجص في المباني الإسلامية الأثرية في العراق

2-1 ملاحظات من العصر العباسي ونماذج سامراء وابو دلف

ومما تجدر ملاحظته بهذا الشأن ان اولياء الامور في العصر العباسي ادركوا تماما نقطة الضعف في الجص هذه فعمدوا الى اعادة الكساء بهذه المادة بين فنية لاخرى، او كلما دعت الحاجة الى ذلك. ويكفي ان نشير هنا الى انه قد تبين لنا اثناء عمليات التنقيب والتحري في المسجد الجامع الكبير في سامراء ان جدرانه الداخلية قد اعيد كساؤها بالجص النقي لما لا يقل عن سبع مرات في بعض الاماكن، مع اننا نعلم ان هذا المسجد الجامع الذي كان قد اقيم صرحه في سنوات خلافة المتوكل على الله (247–232هـ/861–847م) وظل في قيد الاستعمال من قبل الناس الى ان هجرت سامراء تقريبا عندما عاد المعتمد (892–870م) بكرسي الخلافة الى بغداد في سنة 279 هجرية (892م)، اي عبر فترة زمنية لم تتجاوز 32 سنة.

كما لاحظنا ايضا ان هناك ثلاث طبقات من الكساء الجصي تغطي اجزاء من جدار القبلة الخاص بجامع (ابو دلف) في مدينة المتوكلية شمال سامراء، الجامع الذي شيده ايضا المتوكل على الله نحو سنة 245 هجرية (859م). غير ان من الغريب هنا ان قدامى المؤرخين المسلمين قد افادوا ان جامع ابي دلف لم يبق في قيد الاستعمال سوى لسنتين فقط. ونحن نعلم ان مدينة المتوكلية قد هجرت برمتها عندما قتل المتوكل على الله في سنة 248 هجرية حيث قرر الخليفة التالي وهو المنتصر في السنة نفسها العودة مجددا الى سامراء، فهجر الناس المتوكلية جملة وتفصيلا حتى ان قلعوا الابواب والشبابيك والسلالم الخشبية وغيرها ونقلوها الى سامراء (١٣).

فلم نتمكن من تعليل هذه الظاهرة التي تتعارض تماما مع ما كتب قدامى المؤرخين، اذ كيف يعقل انه خلال سنتين فقط يعاد اكساء الجدران بالجص ثلاث مرات. فلابد ان يكون هذا المسجد الجامع قد ظل في قيد لعدة سنوات قبل ان يكون بحاجة الى اعادة كسوته بالجص. وينصرف الامر نفسه الى جامع الملوية الا اذا كان المسجدين الجامعين قد ظلا في قيد الاستخدام ردحا من الزمن بعد عودة الخلفاء العباسيين بكرسي الخلافة الى بغداد وهو الامر الذي ترجحه ظاهرة اعادة كساء الجدران لاكثر من مرة.

ومن البديهي ان تولي الهيئة العامة اهتماما كبيرا بما ابقي لنا الزمن من آثار سامراء فتولت معالجة العمارات التي ما تزال شاخصة، كان أقدمها حسب علمنا ترميم واعادة اكساء اجزاء يسيرة من جدر جامع الملوية الاربع في النصف الثاني من ثلاثينات القرن العشرين.

2–2 نماذج مختارة من اعمال الصيانة في العراق والاشكال المرتبطة

واذا تركنا سامراء وشأنها وانتقلنا الى العمارات الاسلامية القديمة الاخرى نقول ان اللجان الموفدة من قبل الهيئة العامة للآثار قد قامت بنجاح كبير خلال الثمانين سنة الماضية في اعادة اكساء عدد ليس بالقليل من المباني الاثرية. من تلك العمارات تمّ بنجاح كبير اعادة اكساء ستة مشاهد موزعة في شمال ووسط وجنوب العراق تعود كلها الى عهود اعقبت عصر سامراء والتي كانت بأمس الحاجة الى اعادة كسائها بالجص بسبب التشققات والانتفاخات او التصدعات الحاصلة في كسائها الجصي القديم (14).

أقدمها ضريح ما يعرف بين الناس بـ (قبة الامام محمد بن موسى بن جعفر) رضي الله عنه في مدينة (الدور) الواقعة الى الشمال قليلا من مدينة سامراء. ربما يعود تاريخ بنائه الى اواخر القرن الخامس او مطلع القرن السادس الهجري. وقد قامت دائرة الآثار باعادة اكساء البناء بالجص مجددا بعد اصلاح ما كان قد اصاب القبة من الخارج من خلل (15) (شكل2).

وفي بغداد تم اصلاح الخلل واعادة كسوة اثنين من العمارات التي ترجع الى العصر العباسي. الاولى هي التربة المعروفة بين الناس باسم ضريح الست زبيدة زوجة هارون الرشيد، غير ان الاتفاق عام بين المعنيين بالعمارة الاسلامية انها التربة التي شيدتها لنفسها السيدة زمرد خاتون زوجة المستضئ ووالدة الخليفة الناصر لدين الله في الجانب الغربي من بغداد، وقد افادت المصادر التاريخية القديمة انها توفيت ودفنت في تربتها في سنة 599 هجرية (1202م) (شكل٣). لقد قامت دائرة الآثار العراقية بكساء المشهد مرتين، كانت الاولى في سنة 1940، والثانية في سنة 1972 وذلك بعد معالجة التشققات والتصدع واستبدال المتهرئ من الكساء الجصي القديم.

كما تمت ايضا صيانة واعادة كسوة القبة المفصصة الخاصة بتربة الشيخ الصالح عمر السهروردي (ت623هـ) في الجانب الجنوبي الغربي من المقبرة (الوردية) في الجانب الشرقي من بغداد قريبا من أحد ابواب بغداد القديمة الاربعة وهو باب الظفرية الذي يعرف في الوقت الحاضر بـ (الباب الوسطاني) (16).

وفي وسط العراق تم اعادة كسوة قبة مشهد الكفل في محافظة بابل الى جانب اعمال صيانة اخرى خاصة بالمشهد وتنقيبات شملت الموقع كله بما في ذلك المشتملات البنائية القديمة المحيطة بالموقع. وكما هو معروف لذوي الاختصاص ان المشهد يعرف عند اليهود بتربة النبي حزقيل وقد ورد ايضا في القرآن الكريم بـ ذي الكفل (١٧).

3-2 نموذج الزبير ونموذج سنجار والاشكال المرافقة

وإذا انتقلنا الى جنوب العراق قامت لجنة التنقيب والتحري اضافة الى الاعمال المناطة بها وهي الصيانة والتنقيب في موقع الجامع الكبير في البصرة القديمة، صيانة ما يعرف بمشهد الشيخ الحسن البصري في مدينة (الزبير). لقد ولد كل من الحسن بن يسار البصري ومحمد بن سيرين في سنة 21 هجرية (641م) وتوفى الاثنان في سنة 110 هجرية (18). ومع ذلك فإن الرأي بين المعنيين بالآثار الاسلامية ان القبة المرتفعة المفصّصة تعود الى الربع الاول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي (شكل4) (19).

وبعد قلع الكساء الجصي القديم من ظاهر قباب المشهد الثلاثة تبين ان نوافذ مستطيلة كانت مفتوحة في رقبتي القبتين نصف الكرويتين قد اغلقت في عهد لاحق، فعملنا على اعادة فتحها على صفتها الاولى. وايضا اعادت لجنة الصيانة تاج القبة المفصصة الى شكلها الاسطواني القديم (شكل٥).

وفي شمال العراق وجدنا ان من الامور الجديرة بالذكر ما لاحظناه عند صيانة الكساء الجصي مشهد السيدة زينب في مدينة سنجار، وهو المشهد المنسوب للسيدة زينب بنت علي بن ابي طالب واخت الحسين بن علي عليهما السلام (ت62هـ). غير ان الاتفاق عام بين المعنيين بالعمارة الاسلامية ان البناء يعود الى النصف الاول من القرن السابع

الهجري/الثالث عشر الميلادي، ومع ذلك لا يوجد بناء لقبر تحت اي من القباب الثلاث (شكل٦) (٢١). وعندما قامت الهيئة الموفدة من قبل دائرة الآثار العراقية اعمالها في صيانة البناء في سنة 1968 بدأت اولا في ازالة الكساء الجصي المتصدع من داخل القبة، ثم تبين لها ان من قام بترميمها في الماضي قد غيّر شكل بناء الرقبة من المثمن الاصلي الى مربع جديد، فقامت اللجنة المكلفة بالصيانة بازالة الجص المضاف واعادت رقبة البناء الى شكلها الاصلي ذي الثمانية اضلاع (شكل٧).

2-4 صيانة الجص المزخرف وصعوبات التدخل

ولا نريد هنا ان نتطرق الى جميع العمارات الاسلامية القديمة التي تمت صيانة اكسيتها الجصية او اعادة الكساء الجصي اليها فهي كثيرة. نعم، ان العمل بمثل هذا النوع في صيانة المباني الاثرية والتاريخية ربما هي في كثير من الاحيان سهلة التنفيذ، لا تتطلب الا القليل من الدراية والمعرفة، فان اعادة اكساء الجدران بالجص لا يؤثر بأي حال من الاحوال على القيمة الاثرية للبناء.

ولكن قد تواجه متولي هذه الاعمال صعوبات بالغة عندما تكون المسطحات الجصية مشغولة بعناصر زخرفية متباينة مثل الرسوم بالالوان المائية او غنية بالزخارف المحفورة او الناتئة، وعندئذ سوف لن يكون بإمكان المتولي او المشرف على اعمال الصيانة قلع الكساء الجصي واستبداله بغيره، او حتى اعادة كسائه بطبقة اضافية من الجص، فان ذلك لا يمكن ان يتم الا اذا كانت المسطحات الجدارية غفلا تماما من النقوش الكتابية او الزخرفية.

واذا ما تقرر الحفاظ على تلك الزخارف وحمايتها، فعلى من يقوم بمثل هذا الامر ان يكون ذا دراية عميقة وتجربة سابقة بتنفيذ مثل هذه الاعمال، كما يتطلب الامر ايضا الاستعانة بمتخصصين في الشؤون المختبرية عند العزم على الاحتفاظ بالزخرفة الجصية في اماكنها الاصلية، كأن تكون تلك الزخارف اجزاء من محراب في المساجد الجامعة او في مصليات المدارس الدينية القديمة.

وخير مثال على ذلك الطريقة التي عولجت بها الزخارف الجصية الخاصة بمدرسة الاربعين في تكريت عندما كشفت التنقيبات ان بعض اجزاء المدرسة تزينها الزخارف الجصية ولاسيما المحراب الجصي الخاص بمصلى تلك المدرسة، وقد تبين من دراستها ان المدرسة ترجع في تاريخها الى اوائل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. ان تنقيبات الهيئة العامة للآثار في هذا الموقع وكذلك اعمال الصيانة قد تمت في شهور سنة 1964 (22). لقد بذلت الهيئة الموفدة الى تكريت جهودا كبيرة في ترميم تلك الزخارف واعادتها الى شكلها الاصلي ولاسيما زخرفة عقود المحراب المتراكبة (شكل8).

الخاتمة

يتبين من خلال هذا البحث أن الجص لم يكن مجرد مادة بنائية ثانوية في العمارة الإسلامية، بل كان عنصرا أساسيا في حماية المباني وفي تشكيل هويتها الجمالية في آن واحد. فقد استعمل منذ العصور القديمة في بلاد الرافدين ثم استمر

حضوره في العمارة الإسلامية بوصفه مادة سهلة التحضير وقليلة الكلفة وقادرة على حماية الجدران ولاسيما المبنية باللبن من عوامل التلف البيئي.

كما أظهرت النماذج المعمارية التي تناولها البحث أن طبقات الجص تعرضت عبر الزمن إلى عوامل تلف متعددة، كان أبرزها الرطوبة وتفاوت درجات الحرارة واختلاف التمدد بين الجص ومواد البناء الأخرى، الأمر الذي أدى إلى حدوث التشققات والانفصال والتساقط. وقد أدرك المعماريون منذ العصور الإسلامية المبكرة هذه المشكلات، فعملوا على إعادة كساء الجدران بالجص كلما دعت الحاجة، وهو ما أثبتته نتائج التنقيبات والدراسات الأثرية في عدد من المواقع.

وتكشف أعمال الصيانة الحديثة في العراق أن إعادة الكسوة الجصية يمكن أن تؤدي دورا مهما في الحفاظ على المباني الأثرية، غير أن ذلك يتطلب معرفة دقيقة بطبيعة المادة وأساليب التعامل معها، ولاسيما في الأبنية التي تحتوي على زخارف جصية أو عناصر فنية حساسة، حيث تصبح عملية الصيانة أكثر تعقيدا وتستلزم تدخلا علميا متخصصا.

الاستنتاجات

1. يعد الجص مادة بنائية أساسية في العمارة الإسلامية في العراق، وقد استعمل لأغراض إنشائية وجمالية في الوقت نفسه.
2. أسهم الكساء الجصي في حماية الجدران، ولاسيما المبنية باللبن، من تأثيرات العوامل المناخية المختلفة.
3. أثبتت الشواهد الأثرية أن تجديد طبقات الجص كان ممارسة معروفة في العصور الإسلامية، مما يدل على إدراك مبكر لأهميته في صيانة المباني.
4. ترجع أغلب مظاهر تلف الجص إلى عوامل بيئية مثل الرطوبة وتفاوت درجات الحرارة وتسرب المياه، إضافة إلى اختلاف التمدد بين الجص ومواد البناء الأخرى.
5. كشفت دراسات الحالة أن بعض أعمال الصيانة القديمة أو الحديثة قد تؤدي إلى إخفاء عناصر معمارية أو زخرفية إذا لم تجر وفق أسس علمية مدروسة.
6. تختلف أساليب صيانة الجص تبعا لطبيعة البناء ووجود الزخارف الجصية، إذ تصبح المحافظة على العناصر الفنية أولوية في الأبنية المزخرفة.

التوصيات

1. ضرورة اعتماد منهج علمي واضح في صيانة الكسوات الجصية يعتمد على دراسة خصائص المادة والظروف البيئية المحيطة بالبناء.
2. أهمية إجراء تحاليل وفحوص مختبرية للمواد المستخدمة في أعمال الصيانة لضمان توافقها مع المواد الأصلية.
3. ضرورة توثيق جميع أعمال الترميم والصيانة في المباني الأثرية توثيقا علميا دقيقا لتسهيل دراستها مستقبلا.

4. التأكيد على إشراك متخصصين في العمارة الأثرية وعلوم المواد والكيمياء عند تنفيذ أعمال الصيانة، ولاسيما في المواقع التي تحتوي على زخارف جصية.
5. أهمية وضع برامج صيانة دورية للمباني الإسلامية الأثرية في العراق للحفاظ على طبقات الجص ومنع تفاقم التلف.
6. تشجيع الدراسات المتخصصة في مواد البناء التقليدية وأساليب صيانتها لما لذلك من دور في حماية التراث المعماري.

الهوامش

(1) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة، بيروت، 1986، ج3، ص1052.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ)، صحيح البخاري، بيروت، ج1، ص67.

(3) ذكر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما جدد بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بنى جدره الأربعة بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من الحجارة المنقوشة وسقفه بالساج، انظر: البخاري، المصدر السابق، ج1، ص89.

(4) الرمز الكيميائي لكبريتات الكالسيوم المائية هو: $CaSO_4 \cdot 2H_2O$ ويصبح بعد الحرق وفقدان جزء من ماء التبلور: $CaSO_4 \cdot H_2O$. Jansen, M.L., *Economic Mineral Deposits*, New York, p.593.

(5) Ibid., p.514.

(6) مؤيد سعيد، العمارة في عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث، ضمن: حضارة العراق، ج3، ص185.

(7) المصدر نفسه، ج3، ص168.

(8) واثق الصالحي، العمارة في العصر السلوقي والفرثي، ضمن: حضارة العراق، ج3، ص203.

(9) يقع الموقع على بعد نحو 700 كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الرياض، قريبا من نجران.

(10) عبد الرحمن الأنصاري، قرية الفاو: صورة للحضارة العربية قبل الإسلام، الرياض، 1402هـ، ص24–25.

(11) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ص21.

(12) هو المقداد بن عمرو القضاعي، كان من أوائل من أعلنوا إسلامهم في مكة، وتبناه الأسود بن عبد يغوث فنسب إليه، ولذلك قيل له المقداد بن الأسود.

(13) Creswell, K.A.C., *A Short Account of Early Muslim Architecture*, p.280.

(14) تم أيضا إكساء ما تبقى من الجدر الأربعة لما يعرف بالقبة الصليبية، التي تعود إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، الواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة إلى الجنوب قليلا من قصر المعشوق، ويعتقد أنها تضم رفات ثلاثة من الخلفاء العباسيين في سامراء: المنتصر بالله، والمستعين بالله، والمعتز بالله.

(15) مصطفى جواد، العمارات العتيقة القائمة في بغداد، مجلة سومر، المجلد الثاني، 1946.

(16) ومما يؤسف له أن مشهد عمر السهروردي فيه ميل خطير، ولا تزال هيئة الآثار تعمل على إجراء أعمال الصيانة لتلافي سقوط قبته.

(17) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 85.

(18) توفي محمد بن سيرين بعد الحسن البصري بمائة يوم.

(19) العاني، علاء الدين، المشاهد ذات القباب المخروطية في العراق، ص81.

(20) بالإضافة إلى مقام الست زينب في سنجار، يوجد مشهد قرب دمشق يعرف بمرقد السيدة زينب، كما يوجد مرقد في القاهرة القديمة يحمل الاسم نفسه.

(21) الحديثي، عطا، وعبد الخالق، هناء، القباب المخروطية في العراق، ص59.

(22) حميد، عبد العزيز، عمارة الأربعين في تكريت، مجلة سومر، المجلد 21، 1965، ص 123–155..

المصادر

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر العربية

1. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ)، المقدمة، بيروت، 2009.
2. الأنصاري، عبد الرحمن، قرية الفاو: صورة للحضارة العربية قبل الإسلام، الرياض، 1402هـ.
3. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ)، صحيح البخاري.
4. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت 393هـ)، الصحاح، بيروت، 1955.
5. جواد، مصطفى، العمارات العتيقة القائمة في بغداد، مجلة سومر، المجلد الثاني، 1946.
6. الحديثي، عطا، وعبد الخالق، هناء، القباب المخروطية في العراق.
7. حسن، زكي محمد، فنون الإسلام، القاهرة، 1948.
8. حميد، عبد العزيز، عمارة الأربعين في تكريت، مجلة سومر، 1965.
9. سعيد، مؤيد، العمارة من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث، ضمن حضارة العراق، الجزء الثالث، بغداد، 1985.
10. الصالحي، واثق، العمارة في العصر السلوقي والفرثي، ضمن حضارة العراق، الجزء الثالث.
11. العاني، علاء الدين، المشاهد ذات القباب المخروطية في إقليم العراق، بغداد.

ثالثا: المصادر الأجنبية

12. Creswell, K. A. C., *A Short Account of Early Muslim Architecture*, London, 1968.

13. Jansen, M. L., *Economic Mineral Deposits*, New York, 1967.

الاشكال التوضيحية

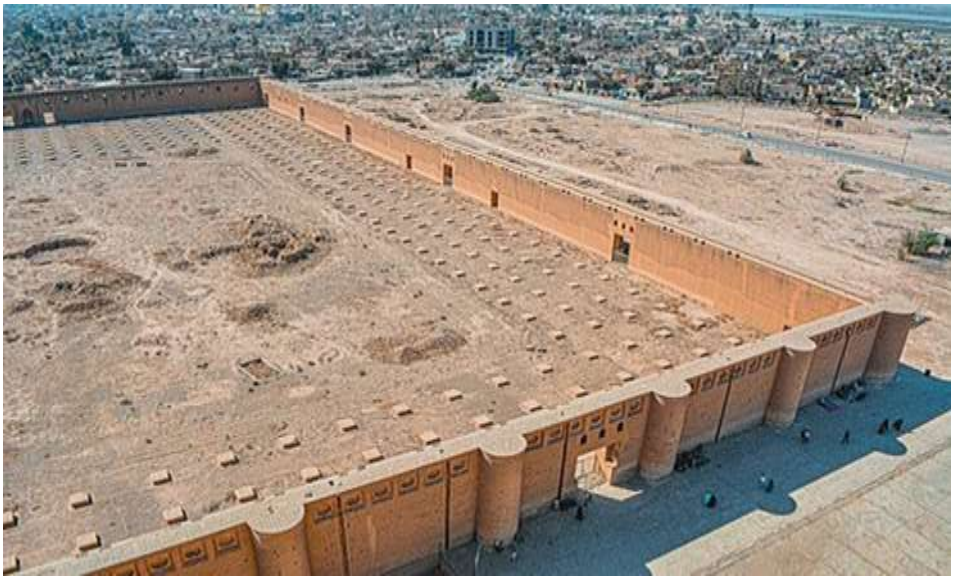

شكل (1): منظر عام لما تبقى من المسجد الجامع الكبير في سامراء

شكل (2): مشهد الإمام محمد بن موسى بن جعفر في الدور، نحو سنة 500 هـ.

شكل (3): مشهد السيدة زمرد خاتون في بغداد، المشيد نحو سنة 599 هـ.

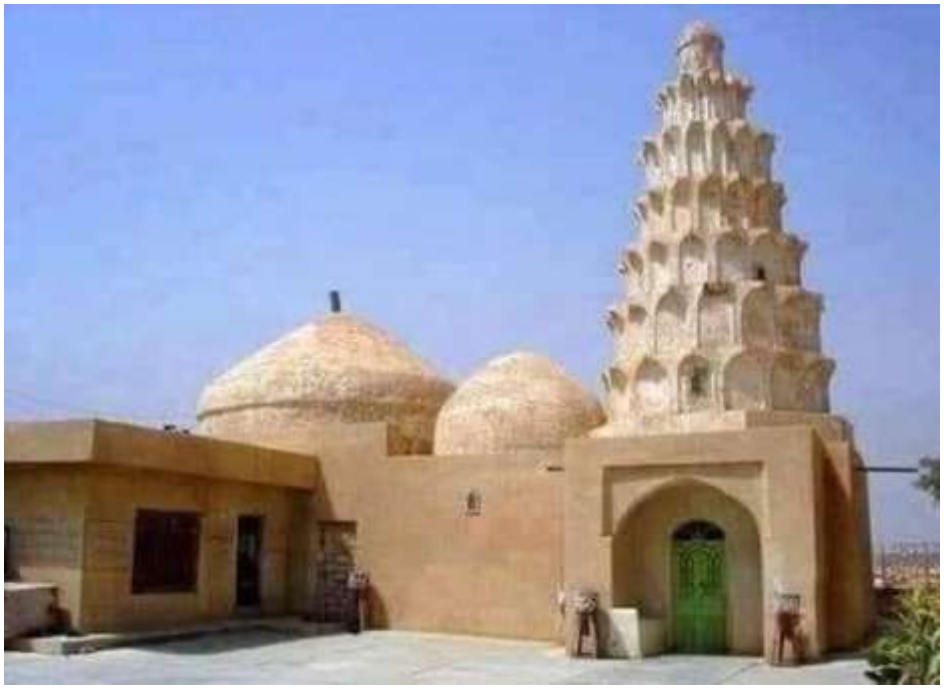

شكل (4): مشهد الحسن البصري ومحمد بن سيرين في الزبير قرب البصرة القديمة، ويرجع إلى الربع الأول من القرن السابع الهجري.

شكل (5): مشهد الحسن البصري بعد أعمال الصيانة الأثرية.

شكل (6): مشهد الست زينب في سنجار قبل أعمال الصيانة.

شكل (7): مشهد الست زينب في سنجار بعد الفراغ من أعمال الصيانة.

شكل (8): محراب مصلى مدرسة الأربعين في تكريت.